بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلقَ مِنْهَا زَوْجَها وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الذِي تَتَساءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَليْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:1] ، وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحشر:18] ، وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُون ﴾ [آل عمران: 102]، أما بعد ..

فلم تزل جهود الباحثين متواصلة في الكشف عن معتقد أهل السنة والجماعة بصورته النقية التي استقرت في قلوب الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين ، ولقد

راودتني الرغبة عبر فترات طويلة في إعداد ملخص جامع ومختصر نافع للقواعد السلفية في الصفات الربانية ، بحيث تكون الأفكار فيه معبرة عن الرأي الرشيد دون تعصب أو خلاف أو تعقيد ، فاستعنت بالله ذي العرش المجيد واستلهمته التوفيق إلي القول السديد ، فجاء هذا المختصر على وجه التحديد مقسما إلي أربعة مباحث أساسية ، تمثل عمدة القواعد السلفية التي ورد بها تراث السلف الصالح على وجه العموم ، وتراث شيخ الإسلام ابن تيمية على وجه الخصوص .

كما جعلت كل مبحث مكونا من قاعدة واحدة ، وكل قاعدة لها محذورات محددة فجاءت خطة هذا البحث على النحو التالي :

المبحث الأول : وقد اشتمل على ما يلي :

- القاعدة الأولى : التوحيد أساس الاعتقاد السلفي في باب الصفات .

- محذورات القاعدة الأولى :

1- التمثيل المبني على قياس المماثلة .

2- التكييف المبني على قياس الشمول .

المبحث الثاني : وقد اشتمل على ما يلي :

- **القاعدة الثانية : إثبات الصفات على مراد الله ورسوله .**
- **محذورات القاعدة الثانية :**

1- التعطيل ورد النصوص الثابتة .

2- التحريف المبني على التأويل بغير دليل .

المبحث الثالث : وقد اشتمل على ما يلي :

- **القاعدة الثالثة : الكف عن طلب الكيفية المتعلقة بالحقائق الغيبة .**
- **محذورات القاعدة الثالثة :**

1- تفويض معاني النصوص الذي وصم به السلف الصالح .

2- تقديم العقل على النقل في التعرف على أوصاف الله .

المبحث الرابع : وقد اشتمل على ما يلي :

- **القاعدة الرابعة : الإيمان بما جاء في الوحي كله سواء في الأسماء والصفات أو في سائر الموضوعات الأخرى .**
- **محذورات القاعدة الرابعة :**

1- بدعة المعتزلة في إثبات الأسماء ونفي الصفات .

2- بدعة الأشعرية في إثبـــات ســـبع صـــفات دون غيرها مما ورد في النقل .

الخاتمة : وقد بينت فيها السبب في كـــون الضـــابط الـــذي وضعه شيخ الإسلام ابن تيمية من أسلم الضـــوابط فـــي بـــاب الأسماء والصفات ؟ .

وفي الختام أسأل الله رب العرش العظيم أن ينفـــع بهـــذا العمل جميع المسلمين في كل مكان وأن يكون ذخرا للموحدين على مدار الزمان .

الباحث

المبحث الأول

القاعدة الأولى ومحذوراتها

● **القاعدة الأولى : التوحيد أساس الاعتقاد السلفي في باب الصفات .**

القاعدة الأولى التي قام عليها اعتقاد السلف الصالح في التعرف على أوصاف اللَّه عز وجل هي توحيده وإفراده عمن سواه ، فهم يتميزون عن سائر الناس بهذه الصفة صفة التوحيد ، سواء كان ذلك في إيمانهم بربوبية اللَّه تعالى وإفراده بالخلق والأمر ، كما قال تعالى : ﴿ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّه رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف:54] ، أو كان في عبادتهم له سبحانه وتعالى كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّه مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة :5] ، فلا يخضعون عن محبة ورغبة لأحد إلا لله ، ولا يشركون معه سواه في العبادة ، أو كان في إيمانهم بما أثبته اللَّه لنفسه من أنواع الكمالات في الأسماء والصفات .

فالتوحيد يقصد به في باب الصفات إفراد اللَّه سبحانه وتعالى بذاته وصفاته وأفعاله عن الأقيسة والقواعد والقوانين التي تحكم ذوات المخلوقين وصفاتهم وأفعالهم .

والدليل على ذلك من القرآن قول الله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى:11] ، فبين سبحانه انفراده عن كل شيء من أوصاف المخلوقين بجميع ما ثبت له

من أوصاف الكمال والجمال والجلال ، وعلو شأنه فيها في كل حال .

وقال تعالى أول في سورة الإخلاص : ﴿ قلْ هُوَ اللَّه أَحَـــدٌ ﴾ [الإخلاص:1] ، وقال في نهايتها مبينا معنى الأحدية : ﴿ وَلَـــمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص:4] ، أي أن الأحد هـــو المنفـــرد بأوصاف الكمال الذي لا مثيل له فنحكم على كيفية أوصافه من خلاله ، ولا يستوي مع سائر الخلق فيسري عليـــه قـــانون أو قياس أو قواعد تحكمه كما تحكمهم ، لأنه المتصف بالتوحيـــد المنفرد عن أحكام العبيد .

وقال تعالى : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم:65] ، أي هل تعلم له شبيها مناظرا يدانيه أو يساويه أو يرقي إلي ســـمو ذاتـــه وصفاته وأفعاله ، وعلى ذلك فلا يمكن بحال من الأحـــوال أن نخضع أوصاف اللَّه لما يحكم أوصاف البشر من قوانين .

فمن البلاهة العقلية أن نطبق قوانين الجاذبية الأرضية على استواء اللَّه على عرشه أو على حملة العرش أو على نزولـــه إلي السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل ، لأن ذلك ينطبـــق على الكائنات الأرضية ولا ينطبق على رب البرية ، فهو منفرد متوحد عن قوانين البشر بذاته وصفاته وأفعاله ، ومعلوم أننـــا

لم نر اللَّه ولم نر له مثيلا أو شبيها أو نظيـــرا ، والشـــيء لا يعرف إلا برؤيته أو برؤية نظيره فكيـــف نقـــول كمـــا قـــالت الجهمية والمعتزلة والأشعرية [1] : لو كان اللَّه على العـــرش لكان محمولا .

[1] الجهمية : أتباع الجهم بن صفوان ، أول من رفض النصوص الثابتة في كتاب الله وعطلها عن مدلولها لأنها تخالف رأيه وعقله الفاسد ، وكان ذلك بعد مناظرة مع أناس من المشركين عبدة الكواكب يقال لهم : السمنية ، فكان مما كلموا به الجهم أن قالوا له : ألست تزعم أن لك إلها ؟ قال الجهم : نعم ، فقالوا له : فهل رأيت إلهك ؟ قال : لا ، قالوا : فهل سمعت كلامه ؟ قال : لا ، قالوا : فهل شممت له رائحة ؟ قال : لا ، قالوا : فوجدت له حسا ؟ قال : لا ، قالوا : فما يدريك أنه إله ؟ فتحير الجهم وامتنع عن الصلاة أربعين يوما ، ولم يرجع إلي كتاب الله أو يسأل أهل الهلم ليعلم أن الله لا يري في الدنيا لأننا في دارا اختبار وابتلاء ، ولكن يري في الآخرة لأنها دار نعيم وجزاء ، فأجابهم الجهم برأي باطل : وقال إن الله في كل مكان كالروح في الجسد ، لا يري له وجه ، ولا يسمع له صوت ، فنفي أن يكون الله في السماء على العرش كما هو اعتقاد السلف ، وعطل نصوص الكتاب والسنة التي وردت في صفات الله ، وهذا الكلام الباطل التزمه أحفاده من المعتزله والأشعرية ، وقيل للجهم وأتباعه : الجهمية ، وقد مات الجهم مقتولا في آخر أيام الدولة الأموية بسبب آرائه الفاسدة ، انظر بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لابن تيمية تحقيق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، ط1 مطبعة الحكومة ، مكة المكرمة سنة1392هـ ، 1/140 ، 2/63 ، وشرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية ، تحقيق إبراهيم سعيداي ، ط1 ، مكتبة الرشد الرياض سنة1415هـ ، 2/167 ، والفرق بين الفرق لأبي منصور عبد القادر البغدادي ، ط2 ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت سنة1977 م ، ص 199 ، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين لأبي عبد الله محمد بن الحسين الرازي ، تحقيق على سامي النشار ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص68 .

المعتزلة : طائفة على منهج الجهمية لكن تنسب إلي رجل يسمي واصل بن عطاء من تلاميذ الحسن البصري ، سموا بذلك لأن واصل بن عطاء لما خالف شيخه الحسن في حكم مرتكب الكبيرة اعتزله ، فقال الحسن : اعتزلنا واصل ، فأطلق الناس على واصل ومن رافقه المعتزلة ، وقد تمكن أهل الاعتزال من نشر مذهبهم في نفي أوصاف الله ، وقالوا بأنه ليس على العرش كما أخبر ، وهو في كل مكان كالجهميه ، وأنه لا يتكلم ولا يسمع ، وأن القرآن مخلوق ، من كلام البشر ، خلقه الله كما خلق سائر الأشياء ، وقد وصلوا إلي الحكم أيام خلفاء بني العباس ، المأمون والمعتصم والواثق ، وقتلوا كثيرا من السلفيين العديد لأنهم خالفوهم في الرأي ، وعذبوا الإمام أحمد بن حنبل فسجنوه وضربوه حتى يقول بقولهم ، ولكنه أبي حتى نصره الله عليهم ، انظر تفصيل مذهبهم في

ولذلك فإن السلف الصالح فرقوا بين النصوص التي تدل على المخلوق والنصوص التي تدل على الخالق ، فالنصوص التي تدل على المخلوق تليق به ، وظاهرها مراد في حقه ، وهي معلومة المعني لورودها في القرآن والسنة باللغة العربية ، وكذلك معلومة الكيفية ، لأننا نراها بالحوس البصرية ، أو نري نظيرها ، فنحكم عليها بالتشابه أو المثلية .

أما النصوص القرآنية والنبوية التي تدل على الخالق فهي معلومة المعني أيضا لأن اللَّه عز وجل خاطبنا باللغة العربية لا باللغة الأعجمية ، فلا يمكن القول إن كلام اللَّه بلا معني ، أو يشبه كلام الأعاجم والألغاز التي لا تفهم ، أما الكيفية الغيبية للصفات الإلهية التي دلت عليها هذه النصوص فهي كيفية

اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص38 ، والفرق بين الفرق ص93 ، والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم مكتبة الخانجي ، القاهرة 2/97 .

والأشعرية : انتسبوا إلي رجل يقال له أبو الحسن الأشعري كان على مذهب المعتزلة وعاد تائبا إلي مذهب السلف ، لكن المنتسبين إليه اتبعوه على منهجه الاعتزالي لا منهجه السلفي ، فقدموا عقولهم وآراءهم على الكتاب والسنة ، ونفوا علو الله على عرشه ، وقالوا إن الله في كل مكان كقول الجهمية والمعتزلة وعطلوا أوصاف الله الواردة في الكتاب والسنة تحت ادعاء التنزيه ، وزعموا أن اعتقاد الأشعريه هو اعتقاد أهل السنة والجماعة ، وهذا المذهب هو السائد الآن في أغلب البلاد الإسلامية ويدرس في معظم المؤسسات التعليمية ، على أنه اعتقاد أبي الحسن الأشعري ، وهذا خطأ كبير لأن هذه العقيدة هي عقيدة الفخر الرازي وأبي حامد الغزالي وغيرهما أما أبو الحسن الأشعري فمؤلفات كالإبانة عن أصول الديانة ، وأصول أهل السنة والجماعة موجودة بيننا ، وتدل يقينا على خلاف ذلك ، انظر بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية 1/117، وشرح العقيدة الأصفهانية 2/203 .

حقيقية معلومة لله تليق به ، لكنها مجهولة لنا لا نعلمها لأننا ما رأينا اللَّه ، فقال نبينا صلي الله عليه وسلم : (تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَي أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حتى يَمُوتَ) [1] **.**

وما رأينا لكيفيته سبحانه وتعالى نظيرا نحكم عليها من خلاله إذ يقول اللَّه تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى:11] .

والمسلم العاقل يعلم يقينا أن الفرق كبير بين مخلوقات الدنيا ومخلوقات الآخرة ، وأن اللَّه سبحانه وتعالى أخبرنا عما في الجنة من المخلوقات من المطاعم والملابس والمناكح والمساكن ، وأخبر أن فيها لبنا وعسلا وخمرا ولحما وماءا وحريرا وذهبا وفضة وفاكهة وقصورا ، وهذه المخلوقات الغيبية تتوافق في الأسماء فقط مع المخلوقات التي في الدنيا من المطاعم والملابس والمناكح والمساكن ، وليست مماثلة لها أبدا ، بل بينهما من الفرق ما لا يعلمه إلا اللَّه تعالى ، فالخالق سبحانه وتعالى في ذاته وصفاته أعظم فرقا وأسمي توحيدا وتميزا من ذات المخلوق وصفاته [2] **.**

---

[1] أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة برقم (2931) .

[2] انظر المثلان المضروبان لشيخ الإسلام ابن تيمية في الرسالة التدمرية ضمن مجموع الفتاوى 3/28.

وإذا كانت العقول قاصرة عن إدراك الروح التي فينا أو التعرف على شكلها على الرغم من كونها داخل أبداننا ، لأننا لم نرها أو نري لها نظيرا ، فاللَّه تعالى أولي أن نعجز عن تكييف ذاته وصافته ، وإذا كان النافي لصفات الروح جاحدا معطلا لها ، وكان من مثلها بما نشاهده من المخلوقات جاهلا ممثلا لها بغير شكلها ، وهي مع ذلك موجودة لها أوصاف حقيقية ، فالخالق سبحانه وتعالى أولي أن يكون النافي لصفاته جاحدا معطلا ومن قاسه بخلقه جاهلا به ممثلا ، وهو سبحانه وتعالى له الكمال في الذات والأسماء والصفات .

- **محذورات القاعدة الأولى :**

من الأمور الهامة التي ينبغي الحذر منها صيانة للقاعدة الأولى ، حتى لا يهدم التوحيد في قلب المسلم أو تشوبه شائبة ، أن يحذر من نوعين من القياس حرمهما اللَّه على من استخدمهما في حقه ، وقد وقع فيهما أهل الضلال من الممثلة والمشبهة ، الذين جسدوا في أذهانهم صورا للمخلوقات وزعموا أن أوصاف اللَّه التي وردت بها النصوص في الكتاب والسنة على هذه الكيفية ، وقد استخدم الممثل النوع الأول من

القياس ، و النوع الثاني استخدمه المشبه وأحيانا يطلق عليه المكيف .

النوع الأول : قياس التمثيل ، وهو إلحاق فرع بأصل في حكم جامع لعلة فالممثل جعل صفة الإنسان التي لا يعرف غيرها أصلا ، وجعل صفة اللَّه التي دلت عليها النصوص فرعا ، ثم طابق الفرع على الأصل وحكم بينهما بالتماثل .

ولو سئل عن السبب في هذا التمثيل ؟ لقال : لأن اللَّه له أوصاف والإنسان له أوصاف ، فهذا يوجب التماثل ، ومن أجل ذلك حكمت بأن استواء اللَّه على العرش يماثل استواء الإنسان ، ووجه اللَّه يماثل وجه الإنسان ، ويد اللَّه تماثل يد الإنسان ، وهكذا في سائر أوصاف اللَّه وأوصاف الإنسان ، قيل له : (ما من شيئين إلا بينهما قدر مشترك وقدر فارق ، فمن نفى القدر المشترك فقد عطل ومن نفى القدر الفارق فقد مثل) [1] **.**

فقد علم العقلاء أن قول الممثل باطل لا يتوافق مع العقل السليم ، فلو قيل : طائر كبير وفيل كبير ، فهل صورة الطائر كصورة الفيل لأنهما اشتركا في لفظ كبير .

---

[1] الرسالة التدمرية ضمن مجموع الفتاوى3/69 .

وإذا كانت أوصاف البشر مختلفة ، فهناك فرق كبير بين عرش بلقيس وعرش سليمان ، ووجه يوسف عليه السلام ووجه غيره من بني الإنسان ، فإن الفرق أعظم وأكبر من باب أولي بين أوصاف الخالق سبحانه وتعالى وأوصاف المخلوق ، وسيقر المسلم في خشوع وخضوع أن استواء اللَّه ليس كاستواء البشر ووجه اللَّه ليس كوجه البشر ، وأوصاف اللَّه ليست كأوصاف البشر ، وأن اللَّه ليس كمثله شيء في ذاته وصفاته وأفعاله ، وهذه طريقة الموحدين .

أما الممثل لأوصاف اللَّه بأوصاف البشر فهو ظالم لنفسه ، متقول على ربه ما ليس له به علم ، فهو في الحقيقة تخيل في ذهنه أن صفة اللَّه الواردة في نصوص الكتاب والسنة كصورة إنسان من البشر ، وعظمها له الشيطان ، فعبدها على أنها المقصود عند ذكره لأوصاف اللَّه ، وهو في الحقيقة إنما يعبد صنما ، ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية في وصف حال الممثل : الممثل يعبد صنما [1] .

---

[1] انظر درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق د . محمد رشاد سالم ، دار الكنوز الأدبية ، الرياض 6/348 ، والأربيلية لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى 5/196 ، ومسألة تحسين العقل وتقبيحه لابن تيمية ضمن الفتاوى 8/432 .

النوع الثاني : قياس الشمول ، <u>وهــو القــانون الشــامل أو الأحكام العامة التي تطبق على جميع الأفراد أو كمــا عرفــوه بأنه قياس كلي على جزئ</u> ، فالمكيف أو المشبه الذي يستخدم قياس الشمول جعل الكيفية التي تحكم أوصاف الإنسان قانونــا يحكم به على أوصاف الرحمن كقوله : لو كان اللّــه متصــفا بالكلام لكان له فم ولسان ، لأنه لم ير المتكلم في أحكام الدنيا إلا على هذه الكيفية ، وكقوله : لو كان علــى العــرش لكــان محمولا ، فطبق قانون الجاذبية الأرضية على كيفيــة اســتواء الخالق كما يطبقها على استواء الإنسان أو حمله للأشياء .

ومعلوم أن صاحب الفطرة السليمة يأبى أن يقال مثل هذا في أوصاف اللّه ، بل يعلم أن هذه الأحكام ربمــا لا تطبــق علــى الإنسان خارج نطاق الجاذبية الأرضية ، مثــل أمــاكن انعــدام الوزن أو المحطات الفضائية ، أو ربما يسمع صوتا من غيــر فم أو لسان كما يري المسجل يعيد الصوت ويكرره كأنه إنسان .

وإذا قيل : لا يدخل قاعة الاختبار في الكلية إلا طلاب السنة النهائية ، علــم العقلاء أن ذلــك لا ينطبــق علــى الأســاتذة المراقبين أو القائمين على النواحي الإدارية .

وإذا قيل : لا يدخل المصنع إلا العاملون ، علمنا أن ذلك لا ينطبق على صاحب المصنع ومن رافقه .

وهكذا يعلم العقلاء وأصحاب الفطرة السليمة أن القوانين التي تحكم أوصاف البشر لا تنطبق على رب البشر ، وأن اللَّه ليس كمثله شيء في ذاته وصفاته وأفعاله ، وعلى ذلك يلزم الاحتراز من استخدام هذين النوعين من القياس في حق اللَّه ، قياس التمثيل وقياس الشمول لأن النتيجة المترتبة على استخدام الممثل لقياس التمثيل واستخدام المكيف المشبه لقياس الشمول هي :

1- تعطيل العلم الصحيح بأوصاف الحق التي وردت في نصوص الكتاب والسنة تحت ستار التمثيل والتشبيه ، ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية : كل ممثل معطل [1] .

2- الافتراء على اللَّه سبحانه وتعالى حيث ادعي في وصف اللَّه ما لا علم له به ، وزعم أن أوصاف اللَّه تشبه أوصاف البشر ، وهي في الحقيقة ليست كذلك وقد حرم اللَّه عز وجل ذلك فقال تعالى :

---

[1] انظر الرسالة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى 3/67 ، 3/49 ، وبيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لابن تيمية ، تحقيق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، ط 1 ، مطبعة الحكومة مكة المكرمة ، سنة 1392هـ ، 2/95 .

 قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّه مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا على اللَّه مَا لا تَعْلَمُونَ [الأعراف:33] .

وقال تعالى : وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا [الإسراء:36] .

المبحث الثاني

القاعدة الثانية ومحذوراتها

● <u>القاعدة الثانية : إثبات الصفات على مراد الله ورسوله .</u>

القاعدة الثانية التي قام عليها اعتقاد السلف الصالح هي إثبات الصفات على مراد اللَّه ورسوله صلي الله عليه وسلم ،

فاللَّه سبحانه وتعالى بعد أن بدأ بالتوحيد أولا في قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ، اتبع ذلك بإثبات الصفات التي تليق به فقال : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ ، فالتوحيد يستلزم إثبات الصفات ، وهذا هو المناسب للفطرة السليمة ، والعقول المستقيمة .

وبيان ذلك أن المتوحد المنفرد عن غيره لابد أن ينفرد بشيء يتميز به ويكون هو الوحيد المتصف به أما الذي لا يتميز بشيء عن غيره ولا يوصف بوصف يلفت الأنظار إليه ، فهذا لا يكون منفردا ولا متوحدا ولا متميزا عن غيره فمثلا لو قلت : فلان لا نظير له سيقال لك في ماذا ؟

تقول : في علمه أو في حكمته أو في غناه أو في ملكه أو في استوائه أو في أي صفة تذكرها ، فلا بد من ذكر الوصف الذي يتميز به ، لكن من العبث أن يقال لك : فلان لا نظير له في ماذا ؟ فتقول : في لا شيء ، أو تقول لا صفة له أصلا ، فاللَّه وله المثل الأعلى أثبت لنفسه أوصاف الكمال التي انفرد بها دون غيره ونفي عن نفسه أوصاف النقص ليثبت توحده في ذاته وصفاته ، فأثبت لنفسه الوحدانية في استوائه فقال تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ على الْعَرْشِ اسْتَوَي ﴾ [طه:5] ، فاستواؤه

له كيفية تليق به لا نعلمها ولا مثيل ولا شبيه له فيها ، وأثبت الوحدانية في كلامه فقال تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّه مُوسَي تَكْلِيمًا ﴾ [النساء:164] ، فكلامه بكيفية تليق به ليس كمثله شيء فيها ولا علم لنا بها ، فمداركنا وإن استوعبت معني كلامه فإنها لا تستوعب كيفية أداء لكلام ، وأثبت لنفسه يدين لا مثيل ولا شبيه له فيهما فقال تعالى : ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنْ الْعَالِينَ ﴾ [ص: 75] ، وكذا الحال في سائر الصفات ، كما أن طريقة السلف في إثبات الصفات تعتمد على أمرين :

1- النفي المجمل لصفات النقص والإثبات المفصل لصفات الكمال [1] :

فاللَّه سبحانه وتعالى نفي عن نفسه كل صفات النقص إجمالا لا تفصيلا فقال تعالى في النفي : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ، وقال أيضا : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .

وقد أثبت اللَّه لنفسه صفات الكمال تفصيلا ، فقال تعالى : ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَي على

---

[1] انظر منهاج السنة النبوية لابن تيمية ، تحقيق د. محمد رشاد سالم ، ط1، مؤسسة قرطبة سنة 1406 هـ 2/185 ، والرسالة التدمرية ضمن مجموع الفتاوى 3/4 .

الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنْ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد:4] ، وغير ذلك من الآيات التي عدد اللَّه فيها أسماءه وأوصافه مثبتا لها ولكمالها وجلالها ومفصلا في ذلك .

واعلم أن طريقة السلف في الإثبات والنفي عكس طريقة المعتزله والأشعرية تماما ، فإنهم يجملون في الإثبات ويفصلون في النفي ، فمثال الإجمال في الإثبات ما فعله أهل الاعتزال حين أثبتوا وجود ذات الله فقط ونفوا عنه الصفات ، ومثال التفصيل في النفي عندهم قولهم في مدح اللَّه : ليس بجسم ولا شبح ولا صورة ولا لحم ولا دم ولا بذي لون ولا طعم ولا رائحة ولا مجسة ولا بذي حرارة ولا رطوبة ولا يبوسة ولا طول ولا عرض ولا عمق ولا.. ولا ...الخ .

وهذا يماثل قول الأحمق في مدح الأمير : لست بزبال ولا كناس ولا حيوان ولا نسناس ، ولا خادم ولا متسول ولا.. ولا ...الخ .

وكان يكفيه أن يقول : ليس لك نظير فيما رأت عيناي ، كما كان يكفيهم أن يقولوا في مدح اللَّه كما قال تعالى عن نفسه :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ، لكنهم لا يرغبون في إثبات أي صفة لله ، فإن سألتهم : من تعبدون ؟ قالوا : نعبد من لا صفة له قيل : من لا صفة له يكون معدوما بلا وجود ، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية : المعطل يعبد عدما [1] .

كما أن هذه الطريقة في الحقيقة طريقة ذم لا مدح ، فالنفوس مفطورة على أن تمدح بالإجمال في النفي والتفصيل في الإثبات وليس العكس فتدبر !!

2- طريقة السلف في نفي النقص عن اللَّه النفي المتضمن لإثبات كمال الضد :

فإذا قال اللَّه سبحانه تعالى : ﴿ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ ﴾ ، علمنا أن نفي السنة والنوم يتضمن كمال الضد وهو إثبات الكمال في حياته سبحانه وقيوميته .

وقوله تعالى : ﴿ وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف:49] ، فيه نفي الظلم عن اللَّه المتضمن لكمال الضد وهو منتهي العدل .

وهكذا في سائر ما ورد في الكتاب والسنة ، وكل نفي لا يستلزم ثبوتا لم يصف اللَّه به نفسه ، ولذا فإن طريقة الخلف

---

[1] انظر درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية 6/348 ، 10/306. والأربيلية لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى 5/196 ، ومسألة تحسين العقل وتقبيحه لابن تيمية ضمن الفتاوى 8/432 ، ومسألة الأحرف ضمن مجموع الفتاوى 12/73 .

من المعتزلة والأشعرية في نفي صفات النقص عن اللَّـــه هـــي بذاتها عين النقص لأنهم إذا قالوا : اللَّه ليس بجسم وتســـاءل العاقلاء ؟ ماذا يكون إذا لم يكن جسما ؟ هل يكـــون عرضـــا ؟ قالوا : ولا عرضا فماذا يكون إذا لم يكن عرضا ؟ هل يكـــــون شبحا ؟ قالوا : ولا شبحا ، ولا صورة ولا لحم ولا دم ولا بذي لون ولا طعم ولا رائحة ولا مجسة ولا بذي حرارة ولا رطوبة ولا يبوسة ولا طول ولا عرض ولا عمق ، فيقال لهم : إن اللَّه إذا نفي عن نفسه وصفا أثبت كمال ضده ، فماذا أثبتـــم بهـــذا النفي غير كلام فارغ من المدح ؟

قال شيخ الإسلام : (فالنفي لا يكون مـــدحا إلا إذا تضـــمن ثبوتا ، وإلا فالنفي المحض لا مدح فيه ، ونفي السوء والنقص عنه يستلزم إثبات محاسنه وكماله ولله الأســـماء الحســـنى ، وهكذا عامة ما يأتي به القرآن في نفي السوء والنقص عنـــه يتضمن إثبات محاسنه وكماله كقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ لا إِلَـــهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ ﴾ [البقـــرة:255] ، فنفي أخـــذ السنة والنوم له يتضمن كمال حياته وقيـــوميته ، وقـــوله : ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ [قّ: 38] ، يتضمن كمال قدرته ونحو

ذلك ، فالتسبيح المتضمن تنزيهه عن السوء ونفي النقص عنه يتضمن تعظيمه) [1] **.**

ويجدر التنبيه على أنه يجوز في بـــاب الصـــفات وإثباتهـــا استخدام قياس الأولى كما قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى ﴾ [النحل: 60] ، فإنه من المعلوم أن كل كمال ونعت ممدوح لنفسه لا نقص فيه يكون لبعض الموجودات المخلوقة المحدثة فالرب الخالق الصمد القيوم هو أولى به ، وكل نقص أو عيب يجـــب أن ينزه عنه بعض المخلوقات المحدثة المكنة فالرب الخـــالق القدوس السلام هو أولى أن ينزه عنه [2] **.**

قال ابن تيمية : (ولهذا كانت الطريقة النبوية الســـلفية أن يستعمل في العلوم الإلهية قياس الأولى كما قال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى ﴾ ، إذ لا يدخل الخالق والمخلـــوق تحـــت قضية كلية تستوي أفرادهـــا ولا يتمـــاثلان فـــي شـــيء مـــن الأشياء ، بل يعلم أن كل كمال لا نقص فيه بوجه ثبت للمخلوق

---

[1] انظر السابق 3/35 ، وانظر الكلام على دعوة ذي النون ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية 10/250 ، وجواب أهل العلم والإيمان في أن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن ، ضمن مجموع الفتاوى لابن تيمية 17/14.

[2] العقيدة الأصفهانية 2/74، والفرقان بين الحق والباطل لابن تيمية 13/164.

فالخالق أولى به ، وكل نقص وجب نفيه عن المخلوق فالخالق أولى بنفيه عنه) [3] .

- **<u>محذورات القاعدة الثانية</u>**

من الأمور الهامة التي ينبغي للموحد أن يحذر منها صيانة للقاعدة الثانية حتى لا يهدم إيمانه بما أثبته اللَّه لنفسه وما أثبته رسوله صلي الله عليه وسلم أن يحذر من نوعين من الضلال ، وهما التعطيل والتحريف المبني على التأويل الباطل وبيان ذلك فيما يأتي :

1- التعطيل : وهو رد النصوص الثابتة في الكتاب والسنة ورفض محتواها وعدم التسليم لها ، وسببه اعتقاد المعطل أن إثبات الصفات التي وردت في هذه النصوص يلزم منه التمثيل والتشبيه ، فالمعطل جسد صورة لربه في ذهنه تشبه صورة الإنسان فوقع في محذورات القاعدة الأولى ، فاعتقد التمثيل والتشبيه وزعم أن ظاهر النصوص دل على ذلك ، فأحس بالرفض التلقائي لهذه الصورة والرغبة في تنزيه اللَّه عنها ، وبدلا من أن يعيب فهمه السيئ وظنه الآثم في كلام اللَّه وجه العيب إلي الكتاب والسنة ، وبدأ في التحامل على النصوص

---

[3] الكيلانية ضمن مجموع الفتاوى 12/350 .

بالباطل ، فادعي أولا أن ظاهرها باطل غير مراد في كلام اللّه عز وجل ، ثم حاول محو ما دلت عليه بأي طريقة وتعطيلها عن مدلولها الذي يطابق الحقيقة .

روي عن الجهم بن صفوان – الجد الأكبر للمعتزلة والأشعرية – في قول الله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ علـى الْعَرْشِ اسْتَوَي ﴾ [طه:5] [1] ، قال : لو وجدت السبيل إلى أن أحكها من المصحف لفعلت [2] .

وروى أن عمرو بن عبيد المعتزلي قال لأبي عمرو بن العلاء : أحب أن تقرأ هذا الحرف : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً ﴾ [النساء: 164] ، بنصب اسم الله ، ليكون موسى هو الذي كلم الله ، ولا يكون في الكلام دلالة على أن الله كلم أحدا ، فقال له : فكيف تصنع بقوله : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ [] [3] ؟ فبهت المعتزلي [4] .

---

1 .

2 توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم ، أحمد بن إبراهيم عيسى ، تحقيق زهير الشاويش ، ط3 ، المكتب الإسلامي ، بيروت سنة 1406هـ ، 2/88 .

3 الأعراف: من الآية 143.

4 شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ط المكتب الإسلامي بيروت سنة 1391هـ ، ص 182.

فالمعطل اعتقد التمثيل في النصوص فاضطر إلى أن يعطلها ، وقد علمنا من محترزات القاعدة الأولى أن الممثل عطل الصفة الحقيقية لله ، ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية : كل ممثل معطل وكل معطل ممثل [1] .

2- التحريف : وهو التأويل بغير دليل وهو تحريف للكلم عن مواضعه ، لأن المتكلم يقصد شيئا في كلامه يختلف عن المعنى الذي أراده المؤول ، والسبب الذي دفع أهل الضلال إلى التأويل الباطل لنصوص الكتاب والسنة ، أن المعطل بعد رفضه للنصوص بناء على اعتقاده فيها التمثيل والتشبيه كما سبق ، أراد أن يستر جريمة التعطيل حتى لا يقال في حقه إنه يكذب بالقرآن والسنة ، فأخفى جريمة التعطيل تحت شعار التأويل وادعاء البلاغة في فهم النصوص فاستبدل المعنى المراد من النصوص بمعنى بديل لا يقصده المتكلم بها .

روى أن أحمد بن أبي دؤاد القاضي أشار على الخليفة المأمون أن يكتب على ستر الكعبة (ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم) ، بدلا من قول الله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [2] ، فحرف كلام الله لينفي

---

[1] انظر الرسالة التدمرية 3/49، 3/7 ، وبيان تلبيس الجهمية 2/12 .

[2] الشورى:11.

وصفه تعالى بأنه السميع البصير ، حيث اعتقد أن السمع في حق الله لا بد أن يكون بأذن [1] .

ويشبه هذا قول المعتزلة والأشعرية : الاستواء في قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ على الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [2] ، معناه الاستيلاء والقهر ، واليد في قوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [3] ، يد القدرة .

وكل ذلك وأمثاله منكر من القول وتزوير في لغة العرب ، لأن العرب عند التحقيق لا تعرف أبدا الاستواء بمعنى الاستيلاء والقهر ، ولا اليد في مثل هذا السياق بالذات بمعنى القدرة ، ولذلك ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن التحريف بالتأويل أقبح من التعطيل والتكييف والتمثيل [4] ، لأنه ما حرف إلا لأنه عطل ، وما عطل إلا لأنه كيف ومثل ، فجمع أنواع الضلال في هذا الباب بتأويله الباطل .

ولا حجة لقول بعضهم : إن اللغة مرنة وحمالة للمعاني وفضفاضة تتسع لأنواع التأويل ، لأن اللغة لها ضوابط معروفة لا يسعنا أن نخرج عن قواعدها ، فالسلف استعملوا التأويل في

---

1 شرح العقيدة الطحاوية ص146 .

2 طه:5.

3 ص:75 .

4 يوسف:100 .

عصرهم بمعنى غير ما يعرف الآن عند الأشــعرية أو علمــاء الكلام ، إذ تقيدوا بما ورد في القرآن والسنة وما عرف بيــن الصحابة والتابعين من معاني التأويل :

المعنى الأول : هو الحقيقــة الــتي يــؤول إليهــا الكلام أو الحقيقة المعبرة عن مدلول الكلام [1] ، وهذا المعنى هو الــذي نطقت به آيات الكتاب ، فلقد تكررت كلمة التأويل في القــرآن في أكثر من عشرة مواضع كان معناها في جميع اســتعمالاتها الحقيقة التي يؤول إليها الكلام كقوله ســبحانه وتعــالى عــن يوسف عليه السلام : ﴿ ورَفَعَ أَبَوَيْهِ على الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَــهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّــي حَقًّا ﴾ [] [2] .

ومن السنة قول عائشة أم المؤمنين رضــي اللَّــه عنهــا : (كَانَ النَّبِيُّ صلي الله عليه وسلم يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُــوعِهِ وَسُجُودِهِ : سُبْحَانَكَ اللَّهمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهــمَّ اغْفِــرْ لِــي ،

---

[1] درء تعارض العقل والنقل 5/234 ، والرسالة التدمرية 3/55 .

[2] بيان تلبيس الجهمية 2/179 ، 2/420 ، ومختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم الجوزية ، طبعة مكتبة المتنبي ، القاهرة سنة 1981م ، 1/37 ، والرسالة التدمرية 3/48 .

يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ) [3] **، تعني أنه صلي الله عليه وسلم كان ينفذ في سجوده أمر اللَّه الذي ورد في قوله :**

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا [] [1] **،**
فتأويل الخبر عند السلف وقوعة ، وتأويل الأمر تنفيذه ، قال سفيان بن عيينة : (السنة هي تأويل الأمر والنهي ، فإن نفس الفعل المأمور به هو تأويل الأمر به ، ونفس الموجود المخبر عنه هو تأويل الخبر ، والكلام خبر وأمر) [2] **.**

المعنى الثاني : للتأويل في مفهوم السلف هو التفسير والبيان [3] **، ويقصدون به كشف المعنى وتوضيح مراد المتكلم ، وهذا التأويل كالتفسير يحمد حقه ويرد باطله ومثاله دعاء الرسول صلي الله عليه وسلم لابن عباس رضي اللَّه عنهما : (اللَّهمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ)** [4] **.**

---

[3] البخاري في كتاب الآذان775 .
[1] النصر :3 .
[2] الرسالة التدمرية3/56.
[3] السابق 3/55 و درء تعارض العقل والنقل5/234 .
[4] صحيح : أخرجه أحمد في المسند برقم2274 ، والحاكم في المستدرك برقم6280 ، 3/615 .

لكن التأويل ظهر له معنى جديد اشتهر في عرف المتأخرين من الفقهاء ورجال الأصول بمعنى : صرف الآية عن معناها الظاهر إلى معنى آخر بدليل من الكتاب والسنة [6] .

وقد وجد الخلف من المعتزلة الأشعرية بغيتهم في هذا التأويل واستخدموه بدليل أو بغير دليل ليضفوا الشرعية على آرائهم ويبرروا تعطيلهم لأوصاف اللَّه ، فصرفوا معاني النصوص الظاهرة إلى معان ابتدعوها بغير دليل ، وقاموا بلي أعناق النصوص وذبحها بصورة لا تخفى على عاقل ، فقالوا في الاستواء كما سبق : استلاء وقهر هروبا من إثبات فوقية الله على خلقه ، وقالوا : معنى في السماء أي عذابه وسلطانه ، ومعني اليدين القدرة ، ومعني الوجه الذات ، ومعني المجيء مجيء الأمر ، ومعني النزول نزول الرحمة ، ومعني الرضي إرادة الإكرام ، والغضب إرادة الانتقام ، والقدم مثل للردع والانزجار ، وهكذا في أغلب الصفات حتى تشعر من أقوالهم بأن المتبادر إلي الذهن عند قراءة الكتاب والسنة معان باطلة واعتقادات فاسدة ، وأنه كان ينبغي أن يكون

---

[6] الإكليل في المتشابه والتأويل لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى 13/288 .

القرآن وكلمات النبي في الأحاديث بغير هذه الألفـــاظ حـــتى لا يتكلفوا مشقة صرف الكلام عن معناه وتأويله بغير دليل .

قال القاضي أبو يعلى : (لا يجوز رد هــــذه الأخبـــار ، ولا التشاغل بتأويلها والواجب حملها على ظاهرها ، وأنها صفات لله لا تشبه سائر الموصوفين بهـــا مـــن الخلـــق ، ولا يعتقـــد التشبيه فيها ، لكن على ما روي عن الإمام أحمد وسائر الأئمة .. كالزهري ومكحول ومالك والثـــوري ووكيـــع والأوزاعـــي والليث وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وابن عيينة والفضـــيل ابن عياض وعبد الرحمن بن مهدي وأسود بن سالم وإســـحاق ابن راهويه وأبي عبيد ... إلى أن قال : ومما يدل على إبطال التأويل أن الصحابة ومن بعدهم من التـــابعين حملوهـــا علـــى ظاهرها ، ولم يتعرضوا لتأويلها ولا صرفها عن ظاهرها ، ولو كان التأويل سائغا لكانوا إليه أسبق ، لما فيه من إزالة التشبيه ورفع الشبهة) [1] .

---

[1] انظر بيان تلبيس الجهمية 1/56 .

المبحث الثالث

القاعدة الثالثة ومحذوراتها

● **القاعدة الثالثة : الكف عن طلب الكيفية المتعلقة بالحقائق الغيبة .**

القاعدة الثالثة التي قام عليها اعتقاد السلف الصالح أنهم كفوا أنفسهم عن طلب كيفية الحقائق الغيبية لاسيما التي تتعلق بذات اللَّه وصفاته .

والدليل على هذه القاعدة قوله تعالى : ﴿ وَلا يُحِيطُونَ بِـــهِ عِلْمًا ﴾ [] [1] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إلا بِمَا شَاء ﴾ [] [2] ، فقد شاء اللَّه أن نعلم معاني النصـــوص الدالة عليه ، ومنع عن علمنا العلــم بكيفيــة ذاتــه وصــفاته وأفعاله وكل ما يتعلق بكيفية الأمور في عـــالم الغيـــب حـــتى الروح التي فينا ، قال اللَّه تعالى عنها : ﴿ وَيَسْـــأَلُونَكَ عـــنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْـــمِ إِلا قَلِيلا ﴾ [] [3] .

فوجب على العاقل أن يحترم عقله وأن يقف عنـــد حـــدوده معظما لكتاب ربه وسنة نبيه صلي الله عليـــه وســـلم ، فـــاللَّه تبارك وتعالى كيَّف مداركنا بحيث لا نستوعب من العلوم إلا في حدود عالم الشهادة فقط ، أما عالم الغيب فهو عـــالم حقيقـــي حجبه اللَّه عنا تحقيقا للابتلاء فترة الحياة الدنيا ثـــم ينكشـــف الغطاء عند الموت فنري من حقائقه ما شاء اللَّه تعالى .

ويجب التنبه إلي أن اللَّه إذا أخبرنا في كتابه عن شيء من عالم الشهادة دعانا إلي البحث عن كيفيته وخصائصه كقول الله

---

[1] طه :110 .
[2] البقرة255 .
[3] الإسراء:85 .

تعالى : ﴿ أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَي الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [1] ، وكقوله سبحانه : ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾ [2] ، أما إذا خاطبنا عن شيء من عالم الغيب خص نفسه بعلم كيفيته فقال سبحانه : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّه ﴾ [3] ، أي لا يعلم حقيقة الغيبيات التي أخبرنا اللَّه عنها إلا اللَّه ، فأمرنا بالكف عن طلب الكيفية التي عليها تلك الحقائق لأن ذلك خارج عن إمكانيات حواسنا .

وإذا كان اللَّه قد حجب عنا كيفية الحقائق في عالم الغيب ، فإنه سبحانه وتعالى أولي من يعرفنا بهذا العالم المغيب عنا ، لأنه لا يخفي عليه شيء لا في عالم الغيب ولا في عالم الشهادة ، كما قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [4] .

ومن ثم إذا عرفنا اللَّه بنفسه في كتابه أو في سنة رسوله صلي الله عليه وسلم أو عرفنا بشيء مما في عالم الغيب ، وجب على كل من أسلم لله أن يصدق بخبره دون اعتراض ،

---

[1] الغاشية:17 .
[2] الذاريات:21 .
[3] آل عمران:7 .
[4] السجدة:6 .

فمهمة العقل تجاه النقل [1] ، تصديق الخبر وتنفيذ الأمر ، ولذا فإن منهج السلف في العلاقة بين العقل والنقل يقوم على إظهار ما جاء في النقل من أوجه الكمال ، وأن العقل مطية للنقل يعمل الفكر ويبذل الجهد ليضع النص فوق الرؤوس عاليا خفاقا ، ويقوم خادما له وداعيا إليه سعيدا بما ناله من شرف الخدمة [2] .

فمن المحال أن يتعارض العقل الصريح الواضح مع النقل الصحيح الثابت ، بل يشهد له ويؤيده ، والسبب في ذلك أن

---

[1] يقصد بالنقل عند علماء العقائد الوحي المتمثل في كتاب الله وسنة رسوله S ويسمى أيضا بالشرع أو السمع أو الخبر ، كقول أبي عمر بن عبد البر: ((حديث النزول حديث ثابت من جهة النقل صحيح الإسناد لا يختلف أهل الحديث في صحته وهو منقول من طرق سوى هذه من أخبار العدول عن النبي S)) انظر درء تعارض العقل والنقل 6/254 ، وكقول شيخ الإسلام ابن تيمية : ((والحكم المرتب على النقل الباطل باطل بالإجماع)) مجموع الفتاوى 27/291 ، وكقوله أيضا عن صفة الكلام وذنسبة القول إلى الله تعالى : ((فالقول قد ورد في السمع مضافا إلى الله .. وقد بسطت الكلام على ذلك في غير هذا الموضع وبينت أن ما جاء به الشرع الصحيح هو الذي يوافقه العقل الصريح)) درء التعارض 2/318 ، ومجموع الفتاوى 25/208 ، فالنقل أو الوحي أو الشرع أو السمع أو الخبر كلها عند علماء العقائد معان مترادفة تدل على كتاب الله وسنة رسوله S.

[2] السلف الصالح جوزوا إعمال الفكر والعقل فيما يؤدى إلى إظهار الدين والعمل بمقتضى النقل والرد على المخالفين للكتاب والسنة ، ولم يجوزوا أن يكون النقل مطية للعقل بحيث يوجه الإنسان آيات القرآن وأدلة السنة في غير مسارها الذي نزلت من أجله ، كما فعل أصحاب المدرسة العقلية عندما وضعوا أنسقة فكرية في أذهانهم كفروض يعملون على إثباتها ، وغايتهم من البحث في القرآن والسنة أن يجدوا بين الآيات والأحاديث ما يؤيد رأيهم ويدعم مذهبهم ولو بتعسف ، وإن وجدوا في الأدلة ما يخالف مذهبهم قاموا بتأويل الآيات والأحاديث تأويلا لا تحتمله النصوص ولا يقوم على دليل واضح ، أو قاموا برد الأحاديث الثابتة بالسند الصحيح بزعم أنها ظنية من رواية الآحاد التي لا تفيد اليقين في أمور الاعتقاد .

المصدر واحد ، فالذي خلق العقل هو الذي أرسل إليه النقـــل ، ومن المحال أن يرسل إليه ما يفسده .

وهو سبحانه أعلم بصناعته لعقل الإنسان ومدي تفكيره فيما يصلحه أو يفسده ، فإذا وضـــع برنامجـــا لتشـــغيل صـــنعته ، وتوجيه الإنسان لجنته ، علمنا أنه لو ظهر خلـــل أو تعـــارض بين العقل والنقل فليس ذلك بسبب نظام التشغيل ، ولكن بسبب قلة الالتزام بمنهج اللَّه واتخاذ البديل من نظم البشر ، من أجل ذلك كان من المحال أن يضل الإنسان أو يشقي إذا اتبع هدايـــة اللَّه كما قال تعالى : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًي فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَي ﴾ [1] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (كل ما يـــدل عليـــه الكتـــاب والسنة فإنه موافق لصريح المعقـــول ، والعقـــل الصـــريح لا يخالف النقل الصحيح ولكن كثيرا من الناس يغلطون إمـــا فـــي هذا وإما في هذا ، فمن عرف قول الرسول ومراده بـــه كـــان عارفا بالأدلة الشرعية ، وليس في المعقول ما يخالف المنقول) [2] .

---

[1] طه:123 .

[2] انظر كتاب مسألة الحروف ضمن مجموع الفتاوى12/81 .

وقال أيضا : (والمقصود هنا التنبيه على أن طرق السلف والأئمة الموافقة للطرق التي دل القران عليها وأرشد إليها ، هي أكمل الطرق وأصحها ، وأكثر الناس صوابا في العقليات أقربهم إليهم ، كما أن أكثرهم صوابا في السمعيات أقربهم إليهم ، إذ العقل الصريح لا يخالف السمع الصحيح بل يصدقه ويوافقه كما قال تعالى :

﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ ﴾ [][1] ، وقال تعالى : ﴿ وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [][2])[3] .

وقال ابن قيم الجوزية : (ولهذا كان العقل الصريح موافقا للنقل الصحيح ، والشرعة مطابقة للفطرة يتصادقان ولا يتعارضان ، خلافا لمن قال ، إذا تعارض العقل والوحي قدمنا العقل على الوحي :

---

1 سبأ:6.

2 الفرقان:33 .

3 شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية2/80 ، ومن بديع قوله أيضا : (من قال بموجب نصوص القرآن والسنة أمكنه أن يناظر الفلاسفة مناظرة عقلية يقطعهم بها ويتبين له أن العقل الصريح مطابق للسمع الصحيح) انظر كتاب شرح حديث إن الله ينادى بصوت ، ضمن مجموع الفتاوى6/525 ، وقال أيضا في كتابه درء تعارض العقل والنقل 7/39 : (وما أثبته السمع الصحيح الصريح لم ينفه عقل صريح ، وحينئذ فلا يجوز أن يتعارض العقل الصريح والسمع الصحيح وإنما يظن تعارضهما من غلط في مدلولهما أو مدلول أحدهما) .

فقبحا لعقل ينقض الوحي حكمه : ويشهد حقا أنه هو كاذب) [1] .

ولو فرضنا وجود التعارض بين العقل والنقل ، فسيكون مرد ذلك إلي سببين لا ثالث لهما :

(1- أن النقل لم يثبت فيتمسك مدعي التعارض بالأحاديث الضعيفة أو الموضوعة مما نسب إلى رسول اللَّه صلي الله عليه وسلم [2] .

---

[1] انظر شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، لابن قيم الجوزية ص 302 ، تحقيق محمد بدر الدين أبو فراس النعسانى الحلبي ، ط1 دار الفكر ، بيروت سنة 1398م .

[2] مثال ذلك : إذا نظر العاقل إلي بعض الأحاديث المنسوبة إلي رسول الله S أحدها يقول فيه : (إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ : اكْتُبْ ، فَجَرَي بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَي الأَبَدِ) ، والآخر يقول فيه : (أول ما خلق الله العقل ، فقال له : أقبل ، ثم قال : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أشرف منك) ، والثالث يقول فيه : (أول ما خلق الله نوري) فالعاقل يقف حائرا بين هذه الروايات أي الأشياء خلق أولا ؟ فمن الخطأ التوفيق بين هذه الروايات قبل البحث عن ثبوتها ، بل الواجب التثبت من النقل أولا ، وبالبحث وجد أن الحديث الأول ثابت صحيح ، أما الثاني والثالث فليس من كلام النبي S ، فالأول رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن برقم (3319) 5/424 ، وصححه الشيخ الألباني ، والحاكم في المستدرك برقم (3840) 2/540 ، وقال : هذا حديث صحيح علي شرط الشيخين ولم يخرجاه ، والبيهقي في السنن الكبرى برقم (17481) 9/3 ، وأبو يعلي في مسنده برقم (2329) 4/217 والطبراني في الكبير (12227) 11/433 ، أما الثاني فموضوع باتفاق انظر : الشذرة في الأحاديث المشتهرة ، محمد بن علي بن محمد الدمشقي 1/209 ، تحقيق كمال بسيوني زغلول ، ط1 دار الكتب العلمية ، بيروت سنة 1413هـ ، وكشف الخفا ومزيل الإلباس ، لإسماعيل بن محمد بن عبد الهادي العجلوني 1/723 ، ط 3 دار إحياء التراث العربي ، بيروت سنة 1351 هـ ، واتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة علي الألسن ، لمحمد بن محمد الغزالي 1/363 ، تحقيق خليل محمد العربي ، ط 1 ، مكتبة الفاروق الحديثة ، القاهرة سنة 1415هـ ، واسني المطالب في أحاديث مختلفة المراتب ، محمد بن السيد دويش الحوت 1/314 ، تحقيق خليل الميس ط 2 دار الكتاب العربي ، بيروت سنة 1403هـ ، والأسرار المرفوعة في الأخبار

(2- وإما أن العقل لم يفهم النقل ولم يدرك خطاب الله على النحو الصحيح [3] .

- **محذورات القاعدة الثالثة**

الموضوعة ، تأليف علي بن محمد بن سلطان الهروي 1/107 ، تحقيق محمد لطفي الصباغ ، ط2 المكتب الإسلامي بيروت سنة 1406هـ ، التنكيب والإفادة في تخريج أحاديث خاتمة سر السعادة ، لمحمد بن حسن أبو عبد الله 1/24 ، تحقيق أحمد البرزة ، ط 1 ، دار المأمون للتراث ، دمشق سنة 1407هـ ، وأما الثالث فموضوع أيضا ، انظر : الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة ، لمحمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم الكنوي 1/43 ، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول ، ط مكتبة الشرق الجديد ، بغداد سنة 1989م ، وكشف الخفا ومزيل الإلباس 1/827 .

3 مثال ذلك : ادعاء البعض بوجود التعارض بين قوله تعالي ﴿ أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ [الملك:16] ، وقوله : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَي الْعَرْشِ اسْتَوَي ﴾ [طه:5] وقوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد:4] ،حيث فهموا من ظاهر الآيات التشبيه والتحيز والجسمية ، وأن الله في استوائه سوف يشبه استواء الإنسان في الكيفية ، كما ذهب إلي ذلك المعطلة أتباع الجهمية ، وظنوا أن الآيات متعارضة ، ولا بد من تأويلها بأي طريقة كانت ، طلبا للتنزيه ، فقالوا : الاستواء معناه استيلاء وقهر ، مع أن ذلك باطل لغة ، وقالوا : معني في السماء الملك الموكل بالعذاب في السماء ، وهذا أشد قبحا وتعسفا ، وهو معنا بذاته في كل الوجود ، وهذا أقبح مما سبق ، لأنه يلزمهم أن يكون الله في الحمام ، وفي أخس الأماكن القذرة ، تعالي الله عن ذلك ؟ فاعتقادهم لم يخرجهم من التعارض ، بل زادهم تخبطا وحيرة ، أما هذه الآيات في الحقيقة فليس بينها أي تعارض يذكر، وظاهرها مراد يدل علي الله وحده ، وعلي النحو الذي ينفرد فيه سبحانه بعلم الكيفية التي تليق به ، قال أبو الحسن الأشعري ، يوضح الفهم الصحيح لصاحب العقل الصريح ويبين كيفية الجمع بين هذه الآيات ، يقول : (السماوات فوقها العرش ، فلما كان العرش فوق السماوات قال: ﴿ أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ لأنه مستو علي العرش الذي فوق السماوات ، وكل ما علا فهو سماء ، والعرش أعلي السماوات ، وليس إذا قال : ﴿ أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ يعني جميع السماوات وإنما أراد العرش الذي هو أعلي السماوات) ، انظر الإبانة عن أصول الديانة ، لأبي الحسن الأشعري 2/107:106 تحقيق الدكتورة فوقية حسين ط1 دار الأنصار ، القاهرة سنة 1397هـ ، فالله مستو علي عرشه ، وعرشه فوق سماواته ، ويعلم ما نحن عليه ، لا يخفي عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، وليس بين الآيات أي تعارض يذكر ، انظر للمزيد :اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة لأبي القاسم هبة الله اللالكائي

يجب على الموحين صيانة للقاعدة الثالثة الحذر من نـــوعين من الضلال :

1- التفويض : فليس معني أن السلف منعوا أنفســـهم مـــن الخوض في الكيفية التي دلت عليها النصوص وفوضوا العلـــم بها إلي اللَّه أنهم منعوا أنفسهم أيضا من معرفة معنــــي الكلام الذي ورد في الآيات والأحاديث عن أوصاف اللَّه ، فقد ادعـــي الخلف من الأشعرية أن مذهب السلف هو تفويض معاني هـــذه النصوص إلي اللَّه حتى قال قائلهم :

وكل نص أوهم التشبيه : أوِّله أو فوِّض ورم تنزيها

ثم يقول في صفة المجيء والنزول :

(فالسلف يقولون مجيـــء ونـــزول لا نعلمـــه) [1] **، وقـــال شيخهم أبو المعالي الجويني : (وذهـــب أئمـــة الســـلف إلـــي**

3/401 وما بعدها ، تحقيق د. أحمد سعد حمدان ، دار طيبـة الريـاض1402هـ والعقيـدة رواية أبي بكر الخلال2/78 ، تحقيق عبـد العزيـز عـز الديـن ، دار ابـن قيبـة ، دمشـق 1408هـ وقطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر ، لمحمد صديق حسن خان القنوجي ص37 ، تحقيق د. عاصم عبد الله القريوني ، شركة الشرق الأوسط للطباعة ، الأردن1404هـ ، وذم التأويل ، لأبي محمد عبد الله بـن قدامـة ،2/45 ، تحقيـق بـدر عبـد الله البـدر ، الدار السلفية الكويت1406هـ .

[1] انظر كتاب تحفة المريد علي جوهرة التوحيد ، طبعة المعاهد الأزهرية ص109 .

الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها إلي الرب سبحانه)[1] .

ثم يستدلون بما ثبت عن مالك بن أنس أن رجلا جاءه وقال له : يا أبا عبد اللَّه : ﴿ الرَّحْمَنُ على الْعَرْشِ اسْتَوَي ﴾ [] [2] **، كيف استوي ؟! فغضب مالك غضبا شديدا ثم قال : (الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة فإني أخاف أن تكون ضالا وأمر به فأخرج)** [3] **.**

والحقيقة أنهم لم يفهموا قول مالك ولا يصلح دليلا لهم على تفويض المعني ، لأنه فرق في جوابه بين معني الاستواء على العرش أو معني الصفات بوجه عام وبين كيفية الاستواء على العرش أو كيفية الصفات بوجه عام ، فالمعني الوارد في النصوص معلوم لأن العقل يستوعب معني الكلام العربي ، أما الكيفية فلا يمكن التعبير عنها لا بكلام العرب ولا بكلام العجم ، ولما غضب مالك على السائل غضب لأنه جاء يسأله عن كيفية الاستواء الغيبية التي تخرج عن جهاز الإدراك البشري عند الإنسان ، فكيف سيجيبه ؟ وهل سيخترع له جوابا يصف فيه

---

[1] العقيدة النظامية ، مطبعة الأنوار القاهرة سنة 1948 ص 23 .

[2] طه:5 .

[3] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ص177.

الكيفية التي عليها استواء اللَّه على العرش والإمام مالك يعلم أن ذلك قول على اللَّه بلا علم ؟ فالسائل إذا مبتدع .

أما لو جاء السائل مالكا يسأله عن معني الاستواء في لغـــة العرب التي خاطبنا اللَّه بها ؟ لما غضب عليــــه ، إذ أن حـــق السائل على أهل العلم أن يفهم معاني النصوص ، وقـــد أمـــره اللَّه بذلك فقال : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [] [1] .

والجواب عند ذلك بيِّن واضح ، إذ أن استواء اللَّه له وجود حقيقي ، ويعني في اللغة العلو والارتفاع .

ومن ثم فإن معتقد الإمام مالك رحمه الله الذي يمثل مـــذهب السلف الصالح هو تفويض العلم بالكيفية إلي اللَّه ، أما المعني فهو معلوم ظاهر من لغة العرب ومراد مفهوم من الآية .

ولو قلنا كما قال الخلف من الأشعرية بأن مالكا فوض العلـــم بالاستواء إلي اللَّه أو فوض معني الاستواء إلي اللَّه ، فإن هذا يماثل قولنا : إن كلام اللَّه الوارد في قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَـــنُ على الْعَرْشِ اسْتَوَي ﴾ [] [2] ، وما شابهه من نصوص الصفات

---

[1] النحل:43 .

[2] طه:5 .

كلام بلا معني ، وهذا اللازم لم يتنبه له من زعــم أن مــذهب السلف هو التفويض في معاني النصــوص لجهلهــم بحقيقــة المذهب السلفي ، وإلا لو سألنا أحدهم : هل تعتقد أن كلام اللَّه بلا معني ؟ فماذا يقول ؟ !

وعلى ذلك فالقول بأن الاستواء غير معلوم أو لا نعلمـــه أو نجهله قول باطل ، وكذلك القول بأن معني الاستواء غير معلوم قول باطل أيضا ، فيجب الحذر من تفويض المعني ، أما القول بأن كيفية الاستواء فقط أو الكيفية التي دلت عليهــا نصــوص الصفات فقط غير معلومة أو مجهولة لنا فهو الحق الذي دلــت عليه الأدلة .

قال ابن تيمية : (وقد بين مالك أن الاستواء معلوم كمــا أن سائر ما أخبر به معلوم ولكن الكيفيــة لا تعلــم ، ولا يجــوز السؤال عنها ، لا يقال كيف استوى ، ولم يقل مالك : الكيف معدوم ، وإنما قال : الكيف مجهول .. فإن قيل معنـــى قـــوله الاستواء معلوم أن ورود هذا اللفظ في القرآن معلــوم ، كمــا قاله بعض أصحابنا الذين يجعلون معرفة معانيها من التأويـــل الذي استأثر الله بعلمه ، قيل : هذا ضعيف ، فإن هذا من باب تحصيل الحاصل ، فإن السائل قد علم أن هــذا موجــود فـــي

القرآن ، وقد تلا الآية وأيضا ، فلم يقل : ذكر الاستواء في القرآن ولا إخبار الله بالاستواء ، وإنما قال : الاستواء معلوم ، فأخبر عن الاسم المفرد أنه معلوم لم يخبر عن الجملة ، وأيضا فإنه قال : والكيف مجهول ، ولو أراد ذلك لقال : معنى الاستواء مجهول ، أو تفسير الاستواء مجهول ، أو بيان الاستواء غير معلوم ، فلم ينف إلا العلم بكيفية الاستواء ، لا العلم بنفس الاستواء ، وهذا شأن جميع ما وصف الله به نفسه ، لو قال في قوله : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [][1] ، كيف يسمع وكيف يرى ؟ لقلنا : السمع والرؤيا معلوم والكيف مجهول ، ولو قال : كيف كلم موسى تكليما ؟ لقلنا : التكليم معلوم والكيف غير معلوم)[2] .

2- تقديم العقل على النقل : المحذور الثاني للقاعدة الثالثة ، وجوب الحذر من تقديم العقل على كتاب اللَّه وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم ، لأن ذلك ينافي معني الإسلام والإذعان لرب العالمين ، فاللَّه أرسل الوحي وأمرنا بتصديق ما جاء فيه من أخبار وتنفيذ ما جاء فيه من أوامر ، وقد أمرنا بتوحيده وإفراده عمن سواه ، وأن نقف عند حدود مداركنا ،

---

[1] طـه: من الآية 46 .

[2] الإكليل في المتشابه والتأويل13/309.

فهو ليس كمثله شيء مما نري أو نسمع في عــــالم الشــــهادة فقال تعالى :

وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا [] [1] .

فإذا تطاول العقل وأخذ يقيس شيئا من عــالم الغيــب علـــى أحكام عالم الشهادة ، كقولهم لو كان على العرش لكان محمولا ، أو لو اتصف بالمجيء لفصل القضاء لكـــان متحركـــا وكـــل متحرك محدث ، أو لو كانت له يد لكان له أعضاء وجـــوارح ، وغير ذلك من أحكام العقل الـــتي يخضـــع لهـــا المخلـــوق لا الخالق ، إذا فعل العقل ذلك لم يوحد اللَّه فـــي أوصـــافه ، لأن اللَّه لا يقاس على خلقه أبدا لا بقيـــاس تمـــثيلي ولا بقيـــاس شمولي كما ورد في محذورات القاعدة الأولى ، فنحن ما رأيناه وما رأينا له مثيلا ، فكيف نظلم أنفسنا ونحاكم أوصـــافه إلـــي القوانين التي تحكم أوصاف البشر .

قال شيخ الإسلام في بيان طريقة السلف : (من أعظـــم مـــا أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبـــل

---

[1] الإسراء:36 .

من أحد قط أن يعارض القرآن لا برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده ، فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق وأن القرآن يهدى للتي هي أقوم فيه ... ولهذا لا يوجد في كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل ورأى وقياس ، ولا بذوق ووجد ومكاشفة ، ولا قال قط : قد تعارض في هذا العقل والنقل ، فضلا عن أن يقول : يجب تقديم العقل والنقل — يعنى القرآن والحديث وأقوال الصحابة والتابعين — أو إما أن نفوض وإما أن نؤول) [1] .

المبحث الرابع

القاعدة الرابعة ومحذوراتها

---

[1] انظر الفرقان بين الحق والباطل ضمن مجموع االفتاوى 13/29 ، و درء تعارض العقل والنقل 1/4 وما بعدها .

● **القاعدة الرابعة : الإيمان بما جاء في الوحي كله سواء في الأسماء والصفات أو في سائر الموضوعات الأخرى .**

القاعدة الرابعة التي قام عليها اعتقاد السلف ، الإيمان بما جاء في الوحي كله ، سواء في الأسماء والصفات أو في سائر الموضوعات الأخرى ، فالوحي وحدة واحدة لا بد من أن نذعن له كله ونسلم بكل ما جاء فيه من عند اللَّه على وجه المحبة والتعظيم ، لعلمنا أن اللَّه يريد لنا الخير ، وهو أعلم بما ينفعنا من أنفسنا ، وهذا معني الإيمان في حديث سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّه الثَّقَفِيِّ رضي الله عنه حيث قَالَ :

قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه ، قُلْ لِي فِي الإِسْلامِ قَوْلا ، لا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ ، قَالَ : قُلْ آمَنْتُ بِاللَّه فَاسْتَقِمْ) [1] **، فإذا أخبرنا اللَّه بشيء صدقناه في كل ما أخبر ، وإذا أمرنا اللَّه بأمر نفذناه في كل ما أمر ، ونستقيم على ذلك مدي الحياة ، فهذا مقتضي الإيمان .**

أما الإيمان ببعض الكتاب ورد البعض الآخر وتعطيله عن مدلوله الحقيقي أو لي أعناق النصوص بالتحريف أو التأويل المتعسف لتسير الأدلة في غير اتجاهها ، كمطية يركبها

---

[1] أخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم55 .

صاحب الأهواء يوجهها حيث يشاء ، فهذا عمل اليهود لعنهم اللَّه حيث قال تعالى في وصفهم : الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ [] (1) .

قال ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِي اللَّه عَنْهمَا : (هُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ جَزَّءُوهُ أَجْزَاءً فَآمَنُوا بِبَعْضِهِ وَكَفَرُوا بِبَعْضِهِ) (2) .

وقال اللَّه تعالى في شأنهم: أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَي أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّه بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ [] (3) .

وقال عن تبديلهم كلام اللَّه بالتأويل الباطل : وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنْ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ الْكِتَابِ وَيَقُولونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّه وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّه وَيَقُولُونَ على اللَّه الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ [] (4) .

وقال : مِنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا

---

1 الحجر:91 .

2 انظر صحيح البخاري ، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق د. مصطفى ديب البغا نشر دار ابن كثير , بيروت ط3 ، سنة 1407هـ ، 3/1435.

3 البقرة85 .

4 آل عمران:78 .

بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّه بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلا قَلِيلا [] [1] .

وقد فعل أغلب أهل الكلام فعل اليهود لما قال اللَّه لهم : ادْخُلُوا الْبَابَ سُجّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ ، أي حط عنا خطايانا واغفر لنا ، فبدلوا كلام اللَّه وزادوا نونا وقالوا : (حنطة) أي نريد القمح والشعير ، فقال تعالى : فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا على الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ [] [2] .

---

1 النساء46: .

2 البقرة59 ، جاء ذلك في حديث أبي هريرة في صحيح البخاري ، طبعة دار ابن كثير بيروت ط3 ، سنة 1407هـ ، 3/1248 .

وقال اللَّه لأهل الكلام من الخلف [1] : ﴿ الرَّحْمَنُ على الْعَرْشِ اسْتَوَي ﴾ [] [2] ، فزادوا لاما وقالوا : استولي عليه وقهر ، فما أشبه نون اليهود بلام أهل الكلام [3] .

وقد وضع علماء الكلام من الأشعرية وغيرهم لأنفسهم قانونا عقليا يحكمون به على ما ورد في الكتاب والسنة وخصوصا في مسائل الصفات ، فما وافقهم أخذوا به وأيدوه وما خالفهم أنكروه وأولوه .

قال ابن تيمية : (وهذا يشبه ما وضعته النصارى من أمانتهم التي جعلوها عقيدة إيمانهم ، وردوا نصوص التوراة والإنجيل إليها ، لكن تلك الأمانة اعتمدوا فيها على ما فهموه من نصوص الأنبياء ، أو ما بلغهم عنهم ، وغلطوا في الفهم أو في تصديق الناقل ، كسائر الغالطين ممن يحتج بالسمعيات ،

---

[1] الخلف : اصطلاح لمن تحقق فيه شرطان : شرط منهجي وهو كل من قدم العقل على النقل أو قدم الرأي على الكتاب والسنة ، وشرط زمني وهو كل من أعقب القرون الفاضلة أو عصر خير القرون ، ويراد بهم المعتزلة والأشعرية أتباع الجهمية ، انظر درء تعارض العقل والنقل 5/378 ومذهب السلف في الاعتقاد لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى 4/158 ، وقطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر لمحمد صديق حسن خان القنوجي ، تحقيق د. عاصم عبد الله القريوتي نشر شركة الشرق الأوسط ، الأردن 1404هـ ، ص 174 ، أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات تأليف مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت سنة1406هـ ، ص 46 .

[2] طه:5 .

[3] انظر مختصر الصواعق المرسلة علي الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية 1/37 .

فإن غلطه إما في الإسناد وإما في المتن ، وأما هؤلاء فوضعوا قوانينهم على ما رأوه بعقولهم وقد غلطوا في الرأي والعقل ، فالنصارى أقرب إلى تعظيم الأنبياء والرسل من هؤلاء ، لكن النصارى يشبههم من ابتدع بدعة بفهمه الفاسد من النصوص ، أو بتصديقه النقل الكاذب عن الرسول ، كالخوارج والوعيدية والمرجئة والإمامية وغيرهم ، بخلاف بدعة الجهمية والفلاسة فإنها مبنية على ما يقرون هم بأنه مخالف للمعروف من كلام الأنبياء ، وأولئك يظنون أن ما ابتدعوه هو المعروف من كلام الأنبياء وأنه صحيح عندهم) [1] **.**

وقد عبر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه عن وحدة المنهج السلفي وعمومه في معرفة أوصاف الله بأصلين شريفين يوضحان هذه القاعدة :

الأصل الأول : القول في الصفات كالقول في الذات ، فإن اللَّه ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، فإذا كان لذات اللَّه وجود حقيقي لا يماثل سائر الذوات من المخلوقات ، فالذات متصفة بصفات حقيقية لا تماثل سائر

---

[1] درء تعارض العقل والنقل 1/8 .

الصفات ، فإذا قال السائل : كيف استوي على العرش ؟ وما كيفية أوصافه ؟ قيل له : كيف هو ؟

فإن قال : أنا لا أعلم كيفية ذاته ، قيل له : ونحن لا نعلم كيفية أوصافه ، ولا كيفية استوائه ، إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم

بكيفية الموصوف ، فكيف تطالبني بالعلم بكيفية سمعه وبصره وتكليمه واستوائه ونزوله وأنت لا تعلم كيفية ذاته ؟ وإذا كنت تقر بأن له ذات حقيقية لا يماثله شيء في ذلك ، وهو متصف بصفات الكمال التي لا يشابهه فيها سمع المخلوق وبصره وكلامه ونزوله واستوائه وسائر أوصافه [1] .

2- الأصل الثاني : القول في الصفات كالقول في بعض فلا يجوز أن نثبت بعض الصفات وننازع في باقي الصفات أو نردها بالتعطيل والتأويل بغير دليل لأن منهج السلف واحد في كل الصفات ، إما أن تثبت الجميع وتكون مؤمنا أو ترد الجميع وتكون جاحدا معطلا ، أما إثبات البعض ورد البعض تحت أي حجة فهذا عمل اليهود كما سبق وهو أشد بطلانا لأنه

---

[1] الرسالة التدمرية ضمن مجموع االفتاوي3/25 .

استخفاف بكلام اللَّه ونوع من العبث بكتاب اللَّه وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم [2] .

- **محذورات القاعدة الرابعة :**

يحترز بالقاعدة الرابعة في صفات اللَّه من بدع المعتزلة والأشعرية .

أولا : بدعة المعتزلة في إثبات الأسماء ونفي الصفات :

ابتدع أهل الاعتزال معني جديدا للتوحيد غير ما عرف بين الصحابة والتابعين وعلماء السلف فقالوا التوحيد إثبات الأسماء ونفي الصفات ، فجعلوا القرآن عضين يقبلون منه ما يوافق آراءهم الفاسدة ويعطلون ما يخالفها .

ومعني قولهم بإثبات الأسماء ونفي الصفات أنهم أثبتوا وجود ذات اللَّه فقط بلا أي صفة لها ، وجعلوا أسماء اللَّه الدالة عليها أسماء فارغة من الأوصاف بلا مسمي ، فقالوا : هو العليم لكن لا يتصف بصفة العلم .

ولتبسيط فكرتهم نقول : فلان اسمه سعيد ، لكن لو بحثت عن صفة السعادة فيه ، فربما يكون سعيدا أو شقيا ، فإن كانت

---

[2] السابق 3/25 .

الأولى قلنا : سعيد اسم على مسمي ، وذاته متصـــفة بصـــفة السعادة ، وإن كانت الثانية قلنا : سعيد اسم فارغ من المسمي وذات بلا صفة لأنه شقي .

فأسماء اللَّه عند السلف أسماء على مسمي ، فهـــو الغنـــي الذي يتصف بالغني لا الفقر ، وهو القوي الذي يتصف بصـــفة القوة لا الضعف ، وهو السميع يتصف بصفة السمع تعالى اللَّه عن ضدها ، وهكذا في سائر الأسماء والصفات ، ولهذا كـــانت أسماؤه حسني وعظمي ، ولا تكون حسني وعظمي بغير ذلك ، قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَـــادْعُوهُ بِهَـــا ﴾ [][1] ، فدعاء اللَّه بها أن يقول الفقير : يا غني أغنني بفضلك عمـــن سواك ، ولولا يقين الداعي الفقير أن الله غني ولا نظير له في غناه ما دعاه ، وأن يقول الضعيف : يا قوي قـــوني ، فلـــولا يقينه أنه سبحانه لا شبيه له في قوته ما دعاه .

وهكذا يعلم أصحاب الفطرة السليمة ـــ فطرة التوحيد ـــــ أن اللَّه يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء بسبب العظمة في أوصافه كما قال : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ

---

[1] الأعراف:180 .

السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَءِلَهٌ مَعَ اللَّه قَلِيلا مَا تَذَكَّرُونَ [] [1] .

فعلم العقلاء أنه لا يجيب المضطر إذا دعاه ، وهو عاجز لا صفة له مطلقا ، فمن يجيب أهل الاعتزال إذا كان معبودهم بلا صفة عندهم وأسماؤه فارغة بلا مسمي .

وهذا المذهب الخبيث يترتب عليه أن قوله تعالى : وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَي فَادْعُوهُ بِهَا [] [2] ، لا قيمة له عندهم ، وكذلك تعداد الأسماء الحسني في قوله صلي الله عليه وسلم : (إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنّةَ) [3] ، لأن تعداد الأسماء الحسني أو الدعاء بها مبني على إثبات .

وأي نقص في حق اللَّه أعظم من أن يكون اللَّه عز وجل لا صفة له عند المعتزلة ـــ تعالى اللَّه عن قولهم علوا كبيرا ـــ إن الواحد منا لا يقبل هذا على نفسه ، فلو قال لك قائل : أنت لا صفة لك عندي ، ربما خاصمته دهرا ، لأن الفطرة مجبولة على إثبات الأوصاف الحميدة ، فمن العجب أن يثبتوا

---

[1] النمل:62 .
[2] الأعراف:180 .
[3] أخرجه البخاري في كتاب الشروط برقم 2736 .

لأنفسهم أجود الأوصاف ، وينفون عن الله الذي ليس كمثله شيء سائر أوصاف الكمال ، ومن ثم لا بد من الإيمان بصفات اللَّه جميعها ، كالإيمان بوجود ذاته ، فالقول في الذات كالقول في الصفات سواء بسواء [1] .

ثانيا : بدعة الأشعرية في إثبات بعض الصفات ورد البعض :

ويجب على المسلم أيضا أن يحترز بالقاعة الرابعة من بدع الأشعرية ، حيث ابتدعوا تقسيما عجيبا في صفات اللَّه على أهوائهم ، فقالوا : الوجود صفة نفسية ، والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية صفات سلبية ، والقدرة والإرادة والعلم والحياة والكلام والسمع والبصر صفات معاني أو معنوية ، وبقية الصفات الواردة في القرآن والسنة خبرية تدل على التشبيه وظاهرها غير مراد لأنه باطل قبيح لا يثبته العقل ، حتى قال قائلهم كما سبق [2] :

وكل نص أوهم التشبيه : أوِّله أو فوِّض ورم تنزيها .

[1] انظر المزيد عن هذا الموضوع في : المسألة المصرية في القرآن ضمن مجموع الفتاوي 12/183 ، وبيان تلبيس الجهمية 1/516 ، ودرء تعارض العقل والنقل 5/19، 34.

[2] ص 27 .

ولو سألناهم : لم أثبتم قدرته سـبحانه وإرادتـه وعلمـه وحياته وكلامه وسمعه وبصره مع أنهـا وردت فـي الكتـاب والسنة ونفيتم صفة المحبة والرضـي والغضـب والاسـتواء والعلو والمجئ وسائر الصفات الخبرية مع أنها أيضـا وردت في الكتاب والسنة ؟ قالوا : لأن الصفات التي أثبتناها لا تـدل على التشبيه ، أما الصفات التي نفيناها تدل علـى التشـبيه ، فيقال لهم : العقلاء لا يقرون هذا ، فالقول في الصفات كالقول في بعض ، فإما أن تقولوا بالتمثيل الباطل في الـذات وجميـع الصفات كمـا فعـل الممثـل وقـال : إرادة اللَّـه مثـل إرادة المخلوق ، ومحبته ورضاه وغضبه واستواءه وعلوه وسـائر الصفات الخبرية مثل أوصاف المخلوق ، ومعلوم أن هذا كـذب على اللَّه وقياس باطل محرم .

وإما أن تقولوا كما قال أهل التوحيد : إرادة اللَّه تليق بـه ، وإرادة المخلوق تليق به واللَّه ليس كمثله شيء فـي إرادتـه ومحبته ورضاه وغضبه واستواءه وعلـوه وسـائر الصـفات الثابتة في الكتاب والسنة كما هو اعتقاد أهل الحق .

أما أن يأتي صاحب المذهب الأشعري بحجج عقلية سـقيمة ينفي بها ما يشاء ويثبت من صفات اللَّه فالعقل لن يسأم مـن

مقارعة الحجة بالحجة ، فإن قال : نفيت الغضب لأنه غليان دم القلب لطلب الانتقام ، وهذا لا يجوز على الخالق سبحانه وتعالى ، قيل له : والإرادة التي أثبتها ميل القلب إلي جلب منفعة أو دفع مضرة ، وهذا لا يجوز على الخالق سبحانه وتعالى ، فإن قال : هذه إرادة المخلوق ، أما إرادة الخالق فليست كذلك ، قيل له : وهذا الغضب الذي وصفته غضب المخلوق ، أما غضب الخالق فليس كذلك ، وهذا لازم في كل صفة أثبتها أو نفاها .

قال شيخ الإسلام : (وأما قول القائل الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام .. فلو قدر أن هذا هو حقيقة غضبنا ، لم يلزم أن يكون غضب الله تعالى مثل غضبنا ، كما أن حقيقة ذات الله ليست مثل ذاتنا ، فليس هو مماثلا لنا ، لا لذاتنا ولا لأرواحنا ، وصفاته كذاته) [1] **.**

وقال أيضا : (فإن قالوا : الغضب هو غليان دم القلب لطلب الانتقام والوجه هو ذو الأنف والشفتين واللسان والخد أو نحو ذلك ، قيل لهم : إن كنتم تريدون غضب العبد ووجه العبد فوزانه أن يقال لكم : ولا يعقل بصر إلا ما كان بشحمة ، ولا

---

[1] الرسالة الأكملية ضمن مجموع االفتاوي6/ 119 ، والرسالة التدمرية3/17 .

سمع إلا ما كان بصماخ ، ولا كلاما إلا ما كان بشفتين ولسان ، ولا إرادة إلا ما كان لاجتلاب منفعة أو استدفاع مضرة ، وأنتم تثبتون للرب السمع والبصر والكلام والإرادة على خلاف صفات العبد فان كان ما تثبتونه مماثلا لصفات العبد لزمكم التمثيل في الجميع ، وإن كنتم تثبتونه على الوجه اللائق بجلال الله تعالى من غير مماثلة بصفات المخلوقات فاثبتوا الجميع على هذا الوجه المحدود ، ولا فرق بين صفة وصفة فان ما نفيتموه من الصفات يلزمكم فيه نظير ما أثبتموه ، فإما أن تعطلوا الجميع وهو ممتنع ، وإما أن تمثلوه بالمخلوقات وهو ممتنع ، وإما أن تثبتوا الجميع على وجه يختص به لا يماثله فيه غيره ، وحينئذ فلا فرق بين صفة وصفة ، فالفرق بينهما بإثبات أحدهما ونفى الآخر فرارا من التشبيه والتجسيم قول باطل يتضمن الفرق بين المتماثلين والتناقض في المقالتين)[1] .

---

[1] رسالة في مسألة تأويل الصفات ضمن مجموع االفتاوي 6/46 .

الخاتمة

إن من أسلم الضوابط الشمولية التي وضعت لتوضيح اعتقاد السلف الصالح في موضوع الصفات هو ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه حيث قال :

(ومذهب السلف أنهم يصفون اللَّه بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلي الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، ونعلم أن ما وصف اللَّه به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي ، بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه ، لاسيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق وأفصحهم في البيان والدلالة والارشاد ، وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته ولا في أفعاله) [1] .

فجاءت هذه الكلمات معبرة عما دلت عليه النصوص القرآنية والأحاديث النبوية في هذا الباب بمجموعها ، منبها على

[1] الأربلية ضمن مجموع االفتاوي 5/195 ، والعقيدة الأصفهانية 2/25 ، والعقيدة الواسطية 3/130 والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان 11/250 ، والكيلانية 12/446 ، وقاعدة في الكلام علي المرشدة لابن تيمية 11/480 .

مواطن الإنحراف وتسلسله من أعلاه إلي أدناه في عبارة بليغة موجزة ، ويمكن التعبير عن القواعد السابقة ومحذورتها ومدى دقتها في التعبير عن منهج السلف من خلال الشكل التالي :

القواعد السلفية في الصفات الربانية

1 القاعدة الأولى التوحيد — محذوراتها: 1 التمثيل، 2 التكييف، 3 التعطيل

2 القاعدة الثانية إثبات الصفات — محذوراتها: 4 التحريف، 5 التفويض

3 القاعدة الثالثة الكف عن طلب الكيفية — محذوراتها: 6 تقديم العقل على النقل

محذوراتها: 7 بدعة المعتزلة، 8 بدعة الأشعرية

4 القاعدة

شكل توضيحي لأصول القواعد السلفية

في الصفات الربانية

ونحن لو تأملنا المحذورات في هذا الشكل لظهر لنـــا مـــدى الدقة في التعبير عن المنهج السلفي ، وكيف أخطأ مـــن ضـــل عن طريقهم من المخالفين حيث توهموا فى بعض الصـــفات أو كثير منها أو أكثرها أو كلها أنها تماثل صفات المخلوقين ثـــم يريد أن ينفى ذلك الذي فهمه فيقع فـــي أربعـــة أنـــواع مـــن المحاذير :

أحدها : كونه مثل ما فهمه من النصوص بصفات المخلوقين وظن أن مدلول النصوص هو التمثيل .

الثاني : أنه إذا جعل ذلك هو مفهومها وعطله بقيت النصوص معطلة عما دلت عليه من إثبات الصفات اللائقة بالله ، فيبقى مع جنايته على النصوص وظنه السيئ الذي ظنه بالله ورسوله ، حيث ظن أن الذي يفهم من كلامهما هو التمثيل الباطل ، يبقى وقد عطل ما أودع الله ورسوله في كلامهما من إثبات الصفات لله والمعاني الإلهية اللائقة بجلال الله تعالى .

الثالث : أنه ينفى تلك الصفات عن الله عز وجل بغير علم فيكون معطلا لما يستحقه الرب .

الرابع : أنه يصف الرب بنقيض تلك الصفات من صفات الأموات والجمادات أو صفات المعدومات ، فيكون قد عطل به صفات الكمال التي يستحقها الرب ومثله بالمنقوصات والمعدومات ، وعطل النصوص عما دلت عليه من الصفات وجعل مدلولها هو التمثيل بالمخلوقات ، فيجمع في كلام الله وفى الله بين التعطيل والتمثيل فيكون ملحدا في أسماء الله وآياته)[1] .

---

[1] الرسالة التدمرية ضمن مجموع االفتاوي3/48 .

فهذا الضابط الذي وضعه شيخ الإسلام من أسلم الضوابط في توحيد الصفات لأنه اشتمل على قواعد مذهب السلف الصالح ، وحذر من التمثيل والتكييف والتعطيل والتحريف والتفـــويض ، بحيث تكشف أنواع التدرج في الضلال والانحراف الذي وقـــع فيه المخالفون من الخلف ، أعلاهـــا وأشـــرها وأقبحهـــا هـــو التأويل الباطل الذي سماه شيخ الإسلام بالتحريف ، ولذلك بـــدأ به جملة المحذورات لأنه مبني على التعطيل ، والتعطيل سببه التكييف والتكييف مرده إلي التمثيل ، ثم نبه بعد ذلـــك علـــى تفويض معاني النصوص والنظر إليهـــا علـــى أنهـــا كاللغـــة الأعجمية والألغاز والأحـــاجي ، وأن ذلـــك مخـــالف لمـــذهب السلف ، وبين أيضا شمولية هذا المنهج لكل مـــا ثبـــت عـــن رسول الله في باب الأسماء والصفات ، فمن أراد النجاة فعليـــه إتباع من سلف وترك ما أحدثه الخلف .

انتهى البحث ولله الحمد .

قائمة بأهم المراجع

- الإبانة عن أصول الديانة للإمام أبي الحسن الأشعري ، تحقيق الدكتورة فوقية حسين محمود ، طبعة دار الأنصار ، القاهرة سنة 1397هـ .
- أسني المطالب في أحاديث مختلفة المراتب ، محمد بن السيد دويش الحوت ، تحقيق خليل الميس ط 2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، سنة 1403هـ .
- أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات ، مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، ط 1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1406هـ .
- اتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة علي الألسن ، لمحمد بن محمد الغزالي ، تحقيق خليل محمد العربي ، ط 1 ، مكتبة الفاروق الحديثة ، القاهرة سنة 1415هـ .
- اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة لأبي القاسم هبة الله اللالكائي ، تحقيق د. أحمد سعد حمدان ، دار طيبة الرياض 1402هـ .

- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، لأبي عبد الله محمد بن الحسين الرازي ، تحقيق على سامي النشار ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت .
- الإبانة عن أصول الديانة ، لأبي الحسن الأشعري ، تحقيق الدكتورة فوقية حسين ، ط 1 ، دار الأنصار ، القاهرة سنة 1397هـ .
- الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة ، لمحمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم الكنوي ، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول ، ط 1 ، مكتبة الشرق الجديد ، بغداد ، سنة 1989م .
- الأربيلية لابن تيمية ، ضمن مجموع الفتاوى ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم ، نشر دار التقوى ، بلبيس ، مصر .
- الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة ، تأليف علي بن محمد بن سلطان الهروي ، تحقيق محمد لطفي الصباغ ، ط 2 ، المكتب الإسلامي ، بيروت سنة 1406هـ .
- الإفادة في تخريج أحاديث خاتمة سر السعادة ، لمحمد بن حسن أبو عبد الله ، تحقيق أحمد البرزة ط 1 ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، سنة 1407هـ .

- **الإكليل في المتشابه والتأويل لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم ، نشر دار التقوى ، بلبيس ، مصر .**
- **الرسالة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم ، نشر دار التقوى ، بلبيس ، مصر .**
- **الشذرة في الأحاديث المشتهرة ، محمد بن علي بن محمد الدمشقي ، تحقيق كمال بسيوني زغلول ، ط 1 دار الكتب العلمية ، بيروت سنة 1413هـ .**
- **العقيدة النظامية ، مطبعة الأنوار ، القاهرة ، سنة 1948م .**
- **العقيدة رواية أبي بكر الخلال ، تحقيق عبد العزيز عز الدين ، دار ابن قيبة ، دمشق 1408هـ .**
- **الفرق بين الفرق لأبي منصور عبد القادر البغدادي ، ط 2 ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت سنة 1977م .**
- **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ضمن مجموع الفتاوى ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم نشر دار التقوى بلبيس مصر .**

•الفرقان بين الحق والباطل لابن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم ، نشر دار التقوى ، بلبيس ، مصر .

•الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، بدون تاريخ .

•بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لابن تيمية ، تحقيق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، ط 1 ، مطبعة الحكومة مكة المكرمة ، سنة 1392هـ .

•درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق د . محمد رشاد سالم ، دار الكنوز الأدبية ، الرياض .

•ذم التأويل لأبي محمد عبد الله بن قدامة ، تحقيق بدر عبد الله البدر ، الدار السلفية الكويت 1406هـ .

•سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، طبعة مطبعة المدني ، القاهرة سنة 1384هـ 1964م .

•شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية ، تحقيق إبراهيم سعيداي ، ط 1 ، مكتبة الرشد الرياض سنة 1415هـ .

•شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ، ط 4 المكتب الإسلامي بيروت سنة 1391هـ .

- **شرح قصيدة الإمام ابن القيم ، أحمد بن إبراهيم عيسى ، تحقيق زهير الشاويش ، ط 3 ، المكتب الإسلامي ، بيروت سنة 1406هـ .**
- **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، لابن قيم الجوزية ، تحقيق محمد بدر الدين أبو فراس النعسانى الحلبي ، ط 1 دار الفكر ، بيروت سنة 1398م .**
- **صحيح البخاري ، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق د. مصطفى ديب البغا نشر دار ابن كثير , ، بيروت ط 3 ، سنة 1407هـ .**
- **قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر ، لمحمد صديق حسن خان القنوجي ، تحقيق د. عاصم عبد الله القريوني ، شركة الشرق الأوسط للطباعة ، الأردن 1404هـ .**
- **كتاب تحفة المريد علي جوهرة التوحيد للبيجوري ، طبعة المعاهد الأزهرية .**
- **كشف الخفا ومزيل الإلباس ، لإسماعيل بن محمد بن عبد الهادي العجلوني ، ط 3 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت سنة 1351 هـ .**

•مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم الجوزية ، طبعة مكتبة المتنبي ، القاهرة سنة 1981م .

•مسألة الأحرف ضمن مجموع الفتاوى ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم ، نشر دار التقوى ، بلبيس ، مصر .

•مسألة تحسين العقل وتقبيحه لابن تيمية ضمن الفتاوى ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم ، نشر دار التقوى ، بلبيس ، مصر .

•مسند أبو يعلي الموصلي ، تحقيق حسين سليم أحمد ، طبعة المكتب الإسلامي ، القاهرة سنة 1410هـ ،1989م .

•مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق الشيخ أحمد شاكر ، طبعة دار المعارف ، القاهرة ، سنة 1374هـ 1955م .

•منهاج السنة النبوية لابن تيمية ، تحقيق د. محمد رشاد سالم ،ط 1 ، مؤسسة قرطبة 1406 هـ .

فهرس الموضوعات

****